

إسهام الترجمة في تلقي اللسانيات في الثقافة العربية

حافظ إسماعيلي علوي

كلية الآداب والعلوم – جامعة قطر

أدرك العرب منذ أمد بعيد مدى أهمية الترجمة، ودورها في الانفتاح على "الآخر"، وتعرف ثقافته وحضارته للتواصل معه؛ إذ «يذكر مؤرخو نشأة العلوم الإنسانية وتطورها أنها بدأت في القرن الأول الهجري، ثم تطورت بعد ذلك نتيجة لعوامل متعددة، لتصل مداها إبان العصر العباسي، وبخاصة عهد المأمون...»¹. وفي الوقت الذي أصبحت فيه أهمية الترجمة العلمية تتعاظم اليوم، أكثر من أي وقت مضى، نتيجة للانفجار المعرفي الكبير، والتقدم التكنولوجي الهائل في جميع مجالات الحياة، تعيش حركية الترجمة في البلاد العربية تعثراً كبيراً، وهذا على عكس ما يفرضه منطق العقل، الذي يحتم أن تولى الترجمة أولوية خاصة في العالم العربي، لكونه متلقٍ للمعرفة العلمية أكثر منه منتجاً لها. - عبد الرحمن حسن العارف، حركة الترجمة اللغوية في المشرق العربي، مصر أنموذجاً، ضمن كتاب: عبده بدوي شاعراً وناقداً، بأقلام مجموعة من الأساتذة، منشورات جامعة الكويت، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، إشراف وتقديم: الدكتورة سعاد عبد الوهاب، فبراير 2007م، ص308.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، الثقافة العربية، التواصل، الترجمة في الوطن العربي

The Contribution of Translation to the Linguistics Reception in the Arabic Culture

Abstract: Arabs have long recognized the importance of translation, and its role in openness to the "other", knowing his culture and civilization to communication with him. As Historians of the emergence/genesis and development of the human sciences mention that it began in the first century AH, and then evolved as a result of multiple factors to reach the range during the Abbasid era, in particular the era of El Maamoun. And at a time when the importance of scientific translation is growing/increasing today than ever, as a result of a great cognitive explosion and the tremendous technological progress in all areas of life, the translation movability in Arab countries suffers so much, and this is contrary to what the logic of reason imposes, which is imperative that translation should be given special priority in the Arab world, as it is more a recipient of scientific knowledge than a producer of it. - Abd al-Rahman Hassan al-Aref- The Linguistic Translation Movement in the Eastern Arab, Egypt as a model, within the book: Abdo Badawi "Poet

تاريخ تسليم البحث: 04 مارس 2016.

تاريخ قبول البحث: 24 أوت 2017.

Keywords: Linguistics, Arabic culture, communication, translation in The Arab World

توطئة: لتدليل على تخلف الترجمة في ثقافتنا يكفي أن نشير هنا إلى أن بلدان الوطن العربي، البالغ تعداد سكانها 250 مليون نسمة في العام 1992، قد أصدرت 6795 مطبوعة، تأليفا وترجمة، بحسب إحصائيات 1992م، منها 548 مطبوعة فقط في العلوم. بينما دولة واحدة، كإسبانيا، مثلا، البالغ تعداد سكانها 39 مليون نسمة فقط، أصدرت في العام نفسه 41816 مطبوعة، منها 2512 مطبوعة في العلوم. هذا يعني أن دول الوطن العربي مجتمعة، وتعداد سكانها ستة أضعاف تعداد سكان إسبانيا، تصدر فقط سدس ما تصدره إسبانيا وحدها، والتي تعتبر دولة متقدمة علميا. كما أن عدد عناوين الكتب المترجمة، في كافة أقطار الوطن العربي، منذ ما بعد عهد الخليفة العباسي، المأمون، وحتى عقد التسعينيات من القرن العشرين المنصرم، لا يصل هذا العدد إلى 15 ألف عنوان. وهذا ما يساوي ما ترجمته دولة البرازيل وحدها، وهي من الدول النامية، في 4 سنوات¹.

وإذا كان هذا هو واقع الترجمة عموما في الثقافة العربية، فإن واقع الترجمة اللسانية ليس أحسن حالا، على الرغم من إدراك العرب أهمية اللسانيات في القرن العشرين، وقدرتها الجبارة على صياغة المعرفة النقدية الحديثة، وخطرها في تشكيل الوعي المنهجي المتجدد في العلوم الإنسانية والاجتماعية². وعلى الرغم، أيضا، من أن الترجمة اللسانية من أهم الأبواب التي يمكن للباحثين العرب من خلالها أن يسهموا في نشر اللسانيات العامة الحديثة بربوعنا نشرًا سليما بعيدا عما يكتنف -مع الأسف- الكثير من أعمال التبسيط اللساني الصادرة بالعربية أصلا من خلل واضطراب³.

وتتحكم في تخلف الترجمة اللسانية في ثقافتنا العربية اعتبارات كثيرة، منها ما يرتبط بالسياق السوسيولوجي العام للمعرفة اللسانية في الثقافة العربية، ومنها ما يرتبط باللسانيات باعتبارها علما.

1. عقبات الترجمة اللسانية في الثقافة العربية

إن «مسار أي علم، في نشأته وتطوره، يتحدد بمجموعة من العوامل، بعضها يشكل بنية العلم ذاته؛ أي مبادئه وقواعده الملزمة له التي تسهم في تطور مفاهيمه ومناهجه ونظرياته، والبعض الآخر يشكل شروطا وأبعادا اجتماعية وسياسية وثقافية... تسهم بشكل ما في تحريك ذلك النسق والدفع به، وهذا يعني، على مستوى التفسير، وجود مبدئين تفسيريين: مبدأ ينظر إلى العلم من الخارج (Externaliste) ويعتمد على إطار ما يسمى بـ"سوسيولوجيا

العلم"، ومبدأ آخر ينظر إلى العلم من الداخل (*Internaliste*) ويعتمد على إطار ما يسمى بـ"إبستمولوجيا العلم"⁴.

1.1. العقبات الخارجية: سوسيولوجيا الترجمة⁵

من أهم العوائق السوسيولوجية التي تسهم في الوضع العام الذي تعيشه الترجمة اللسانية في الثقافة العربية نذكر:

أ. تأخر البعثات اللسانية إلى الخارج، التي لم تعرف إلا في منتصف القرن العشرين، حينما أوفدت جامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول سابقا) عددا من المعيدين بها إلى كل من إنجلترا، وألمانيا، وفرنسا، للتخصص في اللسانيات العامة *general linguistics*، أو اللسانيات المقارنة *Comparative Linguistics*، وما تبع ذلك من قيام حركة لسانية حديثة تأليفا وترجمة⁶.
ب. غياب شرط التفاعل الحضاري، الذي يشجع على الإقبال على ترجمة الكتب اللسانية؛ فما تزال اللسانيات من العلوم الكمالية عند شريحة عريضة من المثقفين، وهذا يلخص الوضع الحالي للدرس اللساني في ثقافتنا، وهو الوضع الذي يبدو نتيجة طبيعية لملاسات التلقي؛ التي اعتبرت اللسانيات بموجها علما غربيا لا يمكن أن يفيد الثقافة العربية في شيء.

ج. انعدام سوق لسانية، ارتباطا بغياب شرط التفاعل الحضاري، نسجل هنا عدم وجود سوق لسانية تدخل في عجلة الرواج. إن هذه السوق غير موجودة لدينا للأسف. وهذا على عكس ما نجده في العالم المتقدم؛ فأى علم من العلوم كيفما كان لا بد له من مؤسسات سواء على مستوى الإنتاج أو الاستهلاك.

د. وجود مجموعة من المدعين، فأصبح الخلط قائما بين الترجمات اللسانية، والترجمات المحسوبة على اللسانيات لا تمت إليها بصلة. إن اللسانيات بوصفها علما من العلوم الإنسانية تقبل ما يمكن أن نسميه "الشعوذة اللسانية أو الشعوذة الأكاديمية". وهذا يجعل الكثير من الترجمات التي تحسب على اللسانيات، لا تساعد الناس على استيعاب اللسانيات استيعابا صحيحا.

2.1. العقبات الداخلية: إبستمولوجيا الترجمة

هذا النوع من العوامل تفرزه اللسانيات العربية من الداخل، ولعل من أبرز تجلياته:
أ. غياب التكامل: إن الثقافة العربية تفتقر بشكل ملحوظ إلى كل جوانب التكامل الذي يفرض تداخل الاختصاصات، حتى تكتمل الدورة ويتم بلوغ الأهداف المتوخاة، وما يؤسف له أن اللسانيات معرضة أكثر من غيرها لاهتزاز الوضعية بسبب حاجتها الماسة إلى هذا التكامل. إن

إسماء الترجمة في تلقي اللسانيات في الثقافة العربية

أي علم من العلوم سواء أكان رياضيا أم فيزيائيا أم لسانيا هو في حاجة ماسة إلى مؤسسات للإنتاج والترويج والاستهلاك، كما أن مجالات البحث تفرض هذا التكامل والتداخل.

ب. عدم التنسيق بين الباحثين، فينجم عن ذلك «بعثرة الجهود وتكرار الأبحاث. وزيادة على ذلك فإن عدم التنسيق هذا وراء عدم تراكم المعرفة التي لا غنى عنها لإرساء قواعد البحث العلمي الصحيح والانطلاق مما تم عمله إلى أعمال أخرى جديدة»⁷.

ج. نقص المعاجم اللسانية العربية: يمكن أن نلخص أهم جوانب النقص في المعاجم اللسانية العربية في النقاط الآتية⁸:

ج.أ. من حيث الشكل:

- لم تتمكن معاجمنا من حل إشكالية التسمية؛ هل نحن بصدد قواميس أم معاجم. ما الفرق بينهما نظريا ومنهجيا؟ وهل المشكل هو مشكلة تسمية فقط؟
- لا تحدد معاجمنا وقواميسنا اللسانية طبيعة مستعملها: من هو القارئ المحتمل لهذه المعاجم؟

ج.ب. من حيث المادة:

نوعية المصطلحات المقدمة: إلى أي مجال لساني تنتمي؟ وما المفاهيم النظرية التي يتعين تقديمها؟ وعلى أي أساس يكون هذا الانتقاء وهذا التقديم؟

ج.ج. من حيث المنهجية:

- تفتقر كثير من معاجمنا اللسانية إلى التصور العام والدقيق حول البنية التصورية التي ينبغي أن يكون عليها المعجم، وكأن أصحاب المعاجم يكتبون لأنفسهم. كما أن معاجمنا لا تستحضر التجارب المتقدمة عليها، مما يجعلها تكرر الأخطاء نفسها. والسبب في ذلك عدم قيامها على أسس نظرية محددة.

ج.د. من حيث المضمون:

من المشاكل التي تطرح على هذا المستوى:

- حشو المعاجم بالمفردات العامة؛

- العودة للصفر، والمقصود بذلك استمرار كثير من المعاجم في اللجوء للصيغ الأجنبية؛

- الخروج عن المؤلف....

د. إشكالية المصطلح اللساني: إذا كانت مفاتيح العلوم مصطلحاتها حقيقة مقررّة، فإن الثابت أن المصطلحات اللسانية العربية ما تزال تشكل موضوعا سجاليا في الثقافة العربية، وتفتقد إلى الصرامة الاصطلاحية اللازمة، وتقف عائقا أمام تطور اللسانيات عوض أن تكون مساعدا يقربنا من هذا العلم الحديث؛ فكل مترجم يسعى إلى «اقتراح ما لديه من مقابلات

عربية غير عابئ بمجهودات غيره سابقين ومعاصرين له حتى ولو كانت مقبولة ولا غبار عليها، والملاحظ في هذا الصدد أيضا أن المصطلح اللساني العربي انطلقا من هذه الفترة لم يعد نتاج أشخاص يمارسون الترجمة كحرفة بدور النشر العربية كما هي الحال في كثير من المجالات المعرفية التي نقلت بتعسف كبير للعربية من قبل هؤلاء المترجمين الحرفيين، ومع ذلك فما يؤسف له هو أن هذه الترجمات على الرغم من أهميتها الاصطلاحية ودورها في تنمية الدرس اللساني لم تتم على يد لسانيين محترفين، أو تحت إشرافهم المباشر، إلا في حالات قليلة جدا، مما ساهم في تكريس التشتت المصطلحي من خلال الرغبة الفردية في وضع مقابلات عربية جديدة ومغايرة لما سبق وضعه في العربية. كما أن المجامع اللغوية العربية لم تقم بما كان يتعين عليها القيام به من أجل توحيد المصطلح اللساني وتعميم نشره في البقاع العربية»⁹.

فترجمات المصطلحات اللسانية تختلف باختلاف الأقطار واختلاف الولاءات، وهذا يعني أن «ما وراء الثقافة مازال يتحكم عندنا في المعرفة أكثر مما تتحكم المعرفة في الثقافة وفيما وراء الثقافة، مثلما أن ما وراء اللغة يظل مسيطرا على اللغة لغلبته على ما وراء الوعي»¹⁰.

هـ. غياب مؤسسة علمية: يزيد من تعميق الإشكالات المطروحة أنفا غياب مؤسسة علمية تتحكم في زمام الترجمة وتمتلك سلطة القرار، وصلاحيه التنفيذ، ويعهد إليها الاهتمام بمراجعة ما يكتب وتقويمه قبل نشره.

و. غياب التنسيق بين المترجمين: مما يسهم في استنزاف الجهود؛ إذ كثيرا ما نجد بعض الكتب اللسانية قد ترجمت أكثر من مرة، وهذا أحد المؤشرات على عدم التنسيق¹¹.

ز. انعدام ضوابط التقييس والمواصفات¹² التي تساعد على كتابة أسماء الأعلام والأماكن بشكل موحد لا يطرح أي التباس بالنسبة إلى القارئ العربي...

لهذه الأسباب، ولأخرى غيرها، تفتقر جل الترجمات العربية إلى المعايير المنهجية والعلمية الدقيقة التي تساعد على تحقيق أهدافها، ومن المؤسف حقا أن تكون الترجمات اللسانية مظهرا من مظاهر تفشي داء اللاعلمية الخبيث في ثقافتنا.

وحتى لا يكون حديثنا عن واقع الترجمة تقولا؛ فإننا سنحاول أن نكشف في الفقرات اللاحقة عن أهم تجليات العوائق السابقة، ومدى إسهامها في الإخفاق أو النجاح النسبيين الذي تعيشه ترجمتنا اللسانية.

2. الترجمة اللسانية في الثقافة العربية: مؤشرات النجاح والإخفاق

2.1. بعض مؤشرات الإخفاق: ترجمات كتاب سوسير في ميزان النقد

لا نعني بالإخفاق هنا الحكم على ترجمة بعينها، بل نعني بذلك تقييما عاما لواقع الترجمة في البلاد العربية نظرا إلى الأسباب التي ذكرنا آنفا. ولعل وقوفنا على بعض النماذج من

إسماء الترجمة في تلقي اللسانيات في الثقافة العربية

شأنه أن يسعف في إعطاء فكرة واضحة عن بعض مؤشرات واقع الحال في تلك الترجمات، ويمكن أن نكتفي هنا بترجمة كتاب سوسير *Cours de linguistique générale* الذي حظي باهتمام خاص في الثقافة العربية بالنظر إلى الثورة التي أحدثها في البحث اللساني الحديث، غير أن ما نعتبره غير طبيعي هو أن تتأخر ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية حوالي سبعين عاما من صدوره¹³. والأغرب من ذلك أن نجد بين أيدينا اليوم خمس ترجمات للكتاب نفسه، أنجزت في أقطار عربية مختلفة، وهي ترجمات تمثل بنصوصها، مجالا ثريا بالنسبة إلى الباحث، بل هو مجال غاية في الخصوبة والغزارة في الوقت نفسه، وذلك من الناحية اللسانية في مضمونها، ومن الناحية الأكاديمية في منهجها وطرائق تحقيقها. ولكن هذه الترجمات تمثل بالنسبة إلينا الآن -وفي هذا السياق بالتدقيق- مادة غزيرة لمساءلاتنا الفكرية وحفرياتنا الثقافية¹⁴. وهذه الترجمات هي:

- (1) محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، جونية، لبنان، دار نعمان للثقافة، 1984م.
 - (2) دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجيبة، تونس وطرابلس ليبيا، الدار العربية للكتاب 1985م.
 - (3) علم اللغة العام، ترجمة يوثيل يوسف عزيز (عن الإنجليزية)، دار آفاق عربية 1985م.
 - (4) فصول في علم اللغة العام، ترجمه (عن الإنجليزية) أحمد نعيم الكراعين، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1985م.
 - (5) محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، البيضاء، 1987م.
- تعكس هذه الترجمات ما تحدثنا عنه آنفا من إنفاق الجهد وعدم التنسيق بين الباحثين وغياب مؤسسة علمية تمتلك الصلاحيات الضرورية، وتكون ذات قوة رادعة، حيث يعهد لها بمتابعة ما يترجم وينشر.
- لقد خضعت هذه الترجمات لمجموعة من المراجعات التي قام بها باحثون من أهل الاختصاص. وسنكتفي هنا بعرض ما جاء في ثلاث مراجعات مهمة¹⁵، وهي:
- حمزة بن قبلان المزيبي: ثلاث ترجمات لمحاضرات دي سوسير،
 - عز الدين المجدوب: ثلاث ترجمات لكتاب فردينان دي سوسير،
 - عبد السلام المسدي: فردينان دي سوسير والثقافة العربية، ضمن كتاب ما وراء اللغة: بحث في الخلفيات المعرفية.

وعلى الرغم من أهمية مثل هذه المراجعات، فإنه «قلّمًا يهتم الباحثون بمراجعة الكتب التي تصدر حديثًا، لذلك يظل كثير منها مجهولًا لا يصل خبره إلى المتخصصين ولا يُعطى حقه من التنويه به إن كان جيدًا، ومن الإشارة إلى ما فيه من النواقص إن كان سيئًا. وذلك ما يجعل إسهام الكتب المنشورة حديثًا في تطوير التخصصات المختلفة يكاد يكون معدومًا. وسبب عدم الاهتمام هذا إنما يكمن في نظر كثير من الباحثين إلى أن مراجعة الكتب عمل تافه لا يستحق أن يبذل فيه الجهد. لهذا فإنه لا لوم على من يصف الثقافة العربية المعاصرة بأنها ثقافة "صامتة"، يكاد ينعدم فيها الحوار العلمي؛ إذ يكتفي القارئ، في أغلب الأحوال، بالاحتفاظ لنفسه بانطباعاته عما قرأ، ولا يشرك معه غيره فيها»¹⁶.

ويمكن أن نفسر عدم الإقبال على مراجعة الكتب بطبيعة العقلية العربية التي لا تقبل إلا بالمجاملات، وهذا على عكس ما نجده في ثقافات أخرى؛ حيث «يجد المطلع على الدوريات العلمية، في الغرب، أن كثيرًا من البارزين في التخصصات المختلفة لا يجدون غضاضة في قراءة الكتب الصادرة حديثًا في تخصصاتهم، وفي غير تخصصاتهم، وكتابة المراجعات لها للتعبير، علنًا، عن آرائهم فيها وتقويمها... كما نعرف جميعًا أن أحد أسباب شهرة اللساني الأمريكي المعاصر نعوم تشومسكي هو كتابته مراجعة لأحد الكتب التي ألفها رائد المدرسة السلوكية في علم النفس ب. ف. سكينر»¹⁷.

وقبل أن نعرض أهم ما جاء في تلك المراجعات نشير إلى أن مراجعة حمزة بن قبلان المزيبي تناولت الترجمة المصرية، والترجمة اللبنانية والترجمة التونسية، أما مراجعة عز الدين المجذوب فاهتمت بمراجعة الترجمة اللبنانية والترجمة العراقية والترجمة التونسية، في حين شملت مراجعة عبد السلام المسدي الترجمات الخمس¹⁸.

1.1.2. مراجعة حمزة بن قبلان المزيبي

1.1.1.2. ترجمة الكراعين¹⁹:

يمكن أن نجمل ملاحظات المزيبي على هذه الترجمة فيما يلي:

- غياب الجانب التوثيقي للكتاب المترجم على أهميتها؛
- عدم ترجمة تعليقات الناشرين، ولا تعليقات المترجم إلى الإنجليزية إلا لمامًا؛
- عدم الالتزام بتقسيم النص إلى فقرات، مما أثار الكثير من اللبس؛
- عدم الالتزام بالكتابة الصوتية التي جاءت في الكتاب على الرغم من أهميتها؛
- حرفية الترجمة؛
- الترجمة القاموسية، وقد مثل المزيبي لذلك، كما ساق بعض الفقرات التي تبين مصدر الخلل في الترجمة، واقترح ترجمة بديلاً لها؛

إسماء الترجمة في تلقي اللسانيات في الثقافة العربية _____ مجلة فصل الخطاب

- عدم التمكن من لغة الكتاب المترجم (الإنجليزية).
- وكل هذه الملاحظات تجعل من هذه الترجمة ترجمة «لا يصح الاعتماد عليها، وهي أبعد ما تكون عن النص الإنجليزي الذي نقلت عنه»²⁰.
- 2.1.1.2. الترجمة اللبانية:

تتلخص عيوب هذه الترجمة في:

- غياب ملحق للمصطلحات المترجمة، واختلاف هذه الترجمة عن ترجماتها الموجودة عند كثير من الباحثين المعاصرين؛
- اختلاف كتابة اسم المؤلف بين الغلاف والمنتن؛
- الهنات الأسلوبية. (وقد عرض المراجع لأمثلة كثيرة منها)؛
- الافتقار إلى الصياغة الملائمة؛
- الترجمة في عمومها ترجمة حرفية (ترجمة كلمة بكلمة)، (وقد عرض لنماذج من تلك الترجمة، مع اقتراح ترجمة بديل)؛
- ينتهي المزيبي من كل ما سبق إلى النتيجة نفسها التي انتهى إليها بخصوص ترجمة الكراعين، يقول: «إن هذه الترجمة لا تستطيع الزعم بأنها ترجمة صحيحة لكتاب دي سوسور وذلك لقصورها المتمثل في: الترجمة الحرفية، والخطأ في الترجمة، والأسلوب الركيك. ولهذا فلا يصح الاعتماد عليها هي الأخرى مع تقديري لجهد المترجمين الكريمين»²¹.

3.1.1.2. الترجمة التونسية

- يستهل المزيبي مراجعته لهذه الترجمة بعرض أهم محاسنها، المتمثلة فيما يلي:
- تضمينها لتوطئة تبين الظروف التي أحاطت بترجمة الكتاب؛
- اقتسام الباحثين للترجمة؛
- توضيح المترجمين لمنهجهما في ترجمة المصطلحات والشواهد والأمثلة؛
- وضع قائمة بالرموز الصوتية التي استعملت في الكتاب؛
- وضع بعض التعليقات؛
- ثبت المصطلحات المستخدمة في الكتاب؛
- وضع مدخلين للمصطلحات؛ أحدهما فرنسي والثاني إنجليزي؛
- تقسيم أغلب النص إلى فقرات؛
- صحة الأسلوب؛
- تجنب الترجمة الحرفية، واعتماد جمل عربية سليمة؛

- إيراد صفحات النص الأصلي في الهوامش.
- وعلى الرغم من تعدد إيجابيات الترجمة التونسية فإنها لم تخل كسابقاتها من بعض الملاحظات يذكر منها²²:
- 1- لم يورد المترجمون مقدمة ناشري الكتاب الأصليين²³؛
 - 2- لم يذكر المترجمون أية معلومات توثيقية عن الكتاب؛
 - 3- لم يربط النص بعضه ببعض أحياناً ربطاً محكماً، وذلك ما يؤدي إلى اللبس؛
 - 4- قد تؤدي الترجمة أحياناً إلى الغموض؛
 - 5- تحتاج الترجمة في بعض المواضع إلى إعادة الصياغة طلباً للسهولة والوضوح؛
 - 6- حبذا لو ضبط النص بالشكل في بعض المواضع، فكثيراً مما يمكن أن يعد غموضاً في الترجمة لا سبب له إلا عدم الشكل في تلك المواضع؛
 - 7- عدم الالتزام أحياناً بوضع علامات الترقيم (أي الفاصلة والفاصلة المنقوطة والنقطة في آخر الجملة) أو وضع علامات ترقيم خاطئة. والالتزام بعلامات الترقيم كفيل بإيضاح كثير من اللبس. فلئن كانت هذه العلامات ضرورية في النصوص جميعها فهي في النصوص العلمية الدقيقة مثل هذا أوجب.
 - 8- حبذا لو أكثر المترجمون من التعليقات التي تفسر بعض النقاط، وذلك ما يجعل فهم النص ميسراً.
- 9- (ص 105)، التعليق رقم (4) "وردت عبارة "الأوتار الصوتية" في النص الفرنسي في "صيغة" المثنى (المترجمون)، والواقع أنه ليس هناك إلا وتران صوتيان فيجب أن تترجم *Vocal* *cords* أو ما يقابلها في الفرنسية بـ "الوترين الصوتيين". ذلك على الرغم من أن معظم الذين يكتبون في الصوتيات من العرب يستعملون عبارة الأوتار الصوتية.
- 10- التعليق رقم 6 في (ص 366) يقول: "تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن الكتاب [محاضرات دي سوسور نفسها] لا يزال ينتظر من يترجمه إلى العربية" وهذه من الطرائف! وكذلك التعليق الذي يظهر في (ص 349) أعيد بنصه في هامش (ص 368).
- 11- وردت بعض الاستعمالات اللغوية التي يمكن أن تعد خاطئة.
- 12- حبذا لو التزم المترجمون بالمصطلحات الواردة في بعض القواميس المتخصصة مثل (المسدي، 1984م). وهناك اختلاف كبير بين ترجمتهم للمصطلحات وترجمة المسدي وهم في بلد واحد؛ بل لم يوافقوه حتى في معنى العلم نفسه فهو عنده اللسانيات وعندهم الألسنية²⁴.
- 13- تجد أحياناً أن مصطلحاً معيناً تُرجم في قائمة المصطلحات على شكل واستعمل أحياناً في النص بشكل آخر.

إسماء الترجمة في تلقي اللسانيات في الثقافة العربية

إن هذه الملاحظات لا تنقص من أهمية الترجمة التونسية التي تبقى «هي الترجمة التي يجب اعتبارها وأن يتدارك ما فيها من نقص. أما الترجمتان الأخريان فلا قيمة لهما البتة»²⁵. ويخلص المزيبي من مراجعاته السابقة إلى أنه «لا بد من التنسيق في عملية الترجمة حتى لا نكرر أنفسنا، وإذا ترجمنا أي عمل فلا بد أن نحاول قدر الإمكان أن نحسن فيما نقوم به. ومن المسلم به أننا أمة مستهلكة للعلم وليست صانعة له، وأول خطوات تأصيل العلم أن نقوم بترجمته ترجمة صحيحة القصد منها العلم لا الأغراض الأخرى التي يسعى الناس من أجلها دائما.

وعلى رغم تأخر ترجمة كتاب دي سوسور وسبق اللسانيات له سبقاً عظيماً الآن إلا أن ترجمته إلى اللغة العربية ضرورة لقيمتها التاريخية، ويجب أن يقرأ هذا الكتاب الآن لهذا الغرض وحده»²⁶.

2.1.2. مراجعة عز الدين المجذوب

1.2.1.2. الترجمة السوروية:

من مآخذ المجذوب على هذه الترجمة أنها «أنجزت بتسرع وعجلة تتنافيان مع ما يقتضيه عمل مثل هذا من توقف وتثبت ودقة. فهذه ترجمة لم تكد تخلو فيها صفحة من عيب ولا سلمت من مأخذ»²⁷.

ومن تلك العيوب والمآخذ:

- الفوضى في المصطلحات، وانعدام ثبت يوضح مقابلها بالفرنسية.

- تحريفها للنص الأصلي ومناقضة معناه ومقصده في أبسط جوانبه.

- الأخطاء المطبعية التي يمنع من الوقوع فيها أدنى تأمل في النص²⁸.

وقد عرض الكاتب لنماذج من تلك الأخطاء واقترح تصويبات لها.

2.2.1.2. الترجمة العراقية:

وهي ترجمة «أكثر جدا وأمانة من الترجمة السابقة وقد بذل صاحبها جهدا مشكورا وراجع النص العربي عنه الدكتور مالك يوسف المطليبي إلا أنها لا تمثل أداة عمل يمكن الاطمئنان إليها لسببين:

أولاً: لأنها لم تنطلق من النص الفرنسي الأصلي للكتاب وإنما هي اعتمدت الترجمة الإنكليزية التي أنجزها وايد باسكن سنة 1959م. وبدهي أنه مهما بذل فيها صاحبها من جهد فإنها لن تغني عن ترجمة أخرى تعمل انطلاقاً من النسخة الأصلية للكتاب وتقف على فكر دي سوسير دون حاجز ولا واسطة.

ثانياً: لتضمنها بعض العيوب الواضحة ونقتصر على أظهرها لأننا لا نستطيع الجزم بمسؤولية الدكتور يوئيل عزيز فيما فقد تعذر علينا مكافحة ترجمته بالنسخة الإنكليزية التي اعتمدها لعدم عثورنا عليها²⁹. ومن تجليات ضعف الترجمة:

- الخطأ في نقل المصطلحات

- قلب معاني بعض المصطلحات

- قضايا منهجية كثيرة...

3.2.1.2. الترجمة التونسية:

يعتبر المجدوب الترجمة التونسية «أكثر الترجمات وعياً بقيمة كتاب دي سوسير وأكثرها تقديراً لصعوبة نقله إلى العربية. وقد توفر فيها من الإتقان ما يجعلها تمثل حدثاً علمياً في تاريخ اللسانيات العربية. وهي إذا قدر لها الرواج الذي تستحق تقرب بحق فكر دي سوسير إلى القارئ العربي وتجعله ماثلاً بين يديه بدون واسطة»³⁰.

وعلى الرغم من هذا الإطار، فإن هذه الترجمة لم تسلم في نظره من مواطن نقص، منها:

- عدم ترجمة مقدمة الناشرين، وهي وثيقة أساسية:

- غياب فهرس للأعلام والمفاهيم، وهي من الفهارس التي تيسر الانتفاع بالكتاب المترجم؛

- أما بالنسبة إلى المصطلحات فما يمكن أن تؤاخذ به هذه الترجمة حفاظها على

مصطلح ألسنية مقابل *Linguistique* والحال أن ندوة عربية أقرت مقابلاً له مصطلح لسانيات، فكان من الواجب الإسهام في توحيد المصطلح اللساني واستقراره في العالم العربي بالاستجابة إلى ما اتفق عليه. وقد وقف على مجموعة من الأمثلة التي تبين جوانب الإخفاق في ترجمة المصطلحات اللسانية.

3.1.2. مراجعة عبد السلام المسدي

جاء حديث المسدي عن هذه الترجمات الخمس مختصراً، لكنه في الوقت نفسه جاء

غنياً بمجموعة من الإشارات القوية الدالة التي تستجلي واقع الترجمة اللسانية في الثقافة العربية، وتؤكد في الوقت نفسه ما ذهبنا إليه آنفاً.

تمثل هذه الترجمات الخمس «بنصوصها مجالاً ثرياً بالنسبة إلى الباحث، بل هو مجال

على غاية من الخصب والغزارة في نفس الوقت، وذلك من الناحية اللسانية في مضمونها، ومن الناحية الأكاديمية في منهجها وطرائق تحقيقها»³¹.

ومما يؤاخذ عليه الترجمات الخمس:

إسهام الترجمة في تلقي اللسانيات في الثقافة العربية

- لم تتواءم أي واحدة من هذه الترجمات في صيغة العنوان مع أي واحدة من الباقيات: (دروس في الألسنية العامة)- (محاضرات في علم اللسان العام)- (فصول في علم اللغة)- (محاضرات في الألسنية العامة)- (دروس في الألسنية العامة)؛
- لم يكتب أي مترجم من المترجمين اسم فردينان دي سوسير بشكل يطابق الصورة التي كتبها بها أي مترجم من الباقيين: فردينان دي سوسير- فردينان ده سوسر- فرديناند دي سوسير- فردينان دي سوسور- فرديناند دي سوسير؛
- تنكر هذه الترجمات لبعضها...³²

خلاصات ونتائج:

- يمكن أن نخرج من العرض السابق لتلك المراجعات بالخلاصات الآتية:
- لم تصل أي ترجمة من الترجمات السابقة إلى مستوى الكمال، ولعل إجماع الباحثين على تفرد الترجمة التونسية، إنما يرجع بالأساس إلى المجهود الذي بذل فيها قياساً إلى الترجمات الأخرى، ومع ذلك فإنها لم تبلغ الغاية؛
- إشكالية المصطلح اللساني الذي يؤرق المترجمين، وتظهر الفوضى ماثلة في تلك الترجمات الخمس، وقد حاول كل مؤلف أن يقف على عينات منها، واقتراح البديل الذي يراه مناسباً؛

- الخلل المنهجي في الترجمة؛
- ضعف أسلوب الترجمة؛
- غياب الجوانب الفنية في الترجمة (جانب التوثيق-كشاف المصطلحات والأعلام- عدم وضع تقديم للترجمة...).

إن هذه الملاحظات تقودنا إلى خلاصة أساسية مفادها أن هذه الترجمات لم تحقق التراكم النفعي النافي أغراض التجميع الكمي³³.

2. إسهام ترجمات المزني³⁴ في تلقي اللسانيات في الثقافة العربية:

تدين المكتبة العربية لحمزة بن قبلان المزني بفضل إمدادها بعدد من الأعمال اللسانية المترجمة. ولقد اتخذت جهوده في هذا المجال ثلاث صور هي³⁵:

1.2. ترجمة العمل ذي المؤلف الواحد: وقد أنجز من ذلك ترجمة الأعمال التالية:

كتاب اللساني الأمريكي: نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 1990م.	<i>Language and the problems of knowledge: The Managua Lectures, 1988.</i>
ترجمة كتاب اللساني الأمريكي ستيفن بنكر: الغريزة اللغوية: كيف يبدع العقل اللغة، دار المريخ للنشر،	<i>The Language Instinct: How Mind Create Language, 1994</i>

الرياض، المملكة العربية السعودية، 1420هـ / 2000م.	
<i>The Semantics of Form in Arabic in The Mirror of European Languages, 1987.</i>	ترجمة كتاب اللساني الأمريكي المستعرب ديفيد جستس: دلالة الشكل في العربية في مرآة اللغات الأوروبية المعاصرة أو "محاسن العربية في العيون الغربية"، 1987، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، الرياض 2005م.
<i>New Horizons in the Study of language and mind. London: Cambridge University Press, 2000</i>	كتاب تشومسكي: آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة في مصر، يناير 2005م.

2.2. ترجمة عدد من البحوث تدور حول موضوع معين وإخراجها في إصدار واحد وهذه الصورة يمثلها الكتاب الصادر سنة 2000م بعنوان: (دراسات في تأريخ اللغة العربية)، ويتضمن ترجمة المزيبي لسبعة بحوث: ثلاثة منها وردت في دائرة المعارف الإسلامية (نشرة 1986م)، وأربعة أخرى هي (اللغة العربية العامية المشتركة) لـ (تشارلز فيرجسون، 1959م)، و (نشأة الازدواجية اللغوية في العربية: دراسة في أصول اللهجات العربية الحديثة) لـ (جاشوا بلاو، 1977م)، و (العربية) لـ (مايكل زويتلر، 1978م) و (طبيعة اللغة العربية القديمة وتغيرها إلى العربية الوسيطة ومن ثم إلى العربية المعاصرة) لـ (أندرو فريمان، 1996م).

3.2. ضم بحوث مترجمة إلى بحوث أخرى من وضع المؤلف، وهذه الصورة يجسدها كتاب: التحيز اللغوي وقضايا أخرى، الذي صدر سنة 2004م، وقد ضم إلى جوار أربعة بحوث من تأليف المزيبي ترجمته للباين: الأول والثاني من كتاب اللساني البريطاني: جون لايتز (اللغة واللسانيات: مقدمة) الصادر سنة 1981م، وكذلك ترجمته لمقالة صدرت سنة 1988م للساني الأمريكي: فيليب ليبرمان، وعنوانها (صوت في الخلاء: كيف اكتسب الإنسان القدرة على الكلام).

3. أهمية الكتب المترجمة:

1.3. اللغة ومشكلات المعرفة: يتألف هذا الكتاب من خمس محاضرات ألقاها تشومسكي في جامعة نيكاراغوا تتضمن إطلالة موسعة على النظرية اللسانية في أواخر الثمانينيات الميلادية. يقدم هذا الكتاب صورة كلية عن أحدث التطورات التي تعيشها النظرية التوليدية. ويقدم الكتاب فكرة مفصلة عن الأسس الفلسفية التي تنطلق منها³⁶.

2.3. الغريزة اللغوية: شكل هذا الكتاب منذ ظهوره إلى الآن موضع اهتمام المتخصصين: فقد ترجم إلى أكثر من أربعين لغة. ويتناول فيه المؤلف الصلة بين اللغة وعلم الأحياء مستعرضاً كثيراً من الأدلة التي تبين أن اللغة "جزءٌ مُميّز من التكوين العضوي لأدمغتنا. واللغة أداة مُعقّدة متخصصة تتطور لدى الطفل بشكل فوريّ مُباغتٍ من غير أي جهد واضح أو تعليم

إسماء الترجمة في تلقي اللسانيات في الثقافة العربية

محملة فصل الخطاب

محدد، وتُستعمل من غير وعي بمنطقها الخفي، كما يتمثل فيها من حيث كيف الناس جميعهم، وتتميز عن بعض القدرات الأخرى الأعم التي تُستعمل في معالجة المعلومات أو التصرف بذلك. ولهذه الأسباب كلها وَصَفَ بعض علماء الإدراك اللغة بأنها قدرة نفسية، وعضو ذهني، ونظام عصبي، وقال حوسبي³⁷.

3.3. آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن: يقول المؤلف عن هذا الكتاب: «وأنا أفهم هذا البحث على أنه يأخذ (ضمنياً في الغالب) أحد وجوه الأطروحة عن العقل/الدماغ التي أوردتها توا أمراً مسلماً، ويمكن أن تؤوّل بصورة معقولة على أنها جزء من علم النفس أو جزءاً من علم الأحياء البشري، بصورة أعم. وقد أطلق بعض الباحثين على هذا المنحى من البحث، بشكل مسوّغ، مصطلح "اللسانيات الأحيائية" (Jenkins 1999). وموضوعها بعض الحالات المعيّنة للناس، ويعني غالباً حالات أدمغتهم: ولنسبها بـ "الحالات اللغوية". وتسعى [اللسانيات الأحيائية] إلى كشف طبيعة هذه الحالات وخصائصها، وتطوراتها وأنواعها، والأسس التي تقوم عليها في الإعداد الأحيائي الفطري. ويبدو أن هذا الإعداد يُحدّد "ملكة لغوية" مكوّناً فريداً من مكوّنات الملكات العقلية العليا (ويمكن أن يكون للعناصر المكوّنة لها، بصفاتها نظاماً، أنواع كثيرة من الوظائف)، وهي "خصيصة مقصورة على النوع" ومشاركة بين بني البشر تقريباً، مع بعض التنوعات العامة لها. والملكة اللغوية تطوّر أحيائي حديث جداً، وهي، على حد ما نعلم، قدرة معزولة أحيائياً عن غيرها من بعض الوجوه المهمة»³⁸.

4.3. دراسات في تأريخ اللغة العربية: وهو ترجمة لبعض المقالات المشهورة التي كتبها بالإنجليزية بعض المستعربين المشهورين عن تاريخ اللغة العربية. وكان آخرها فصل طويل كتبه المستعرب الأمريكي المعاصر مايكل زويتلر ضمن كتابه الشهير (التقليد الشفهي للشعر العربي القديم، (ص ص 97-188)). وهو أوسع مراجعة لما كُتب عن القضايا اللغوية التي تتصل بتاريخ اللغة العربية ابتداءً بأراء اللغويين العرب القدماء وانتهاءً إلى ما انتهى إليه البحث في إطار نظرية "الأدب الشفهي"³⁹.

5.3. محاسن العربية في العيون الغربية: تكمن أهمية هذا الكتاب فيما يلي:
+ أنه دراسة معمّقة للدلالة في العربية مقارنةً بما في اللغات الأوروبية القديمة والحديثة؛ إذ استقصى مؤلفه كثيراً من الظواهر اللغوية الشكلية التي تؤثر في التعبير عن الدلالة. وناقش نقاشاً مستفيضاً تلك العلاقة بين المعنى وشكل الكلمة وبين أشكال العبارات والتركيبات النحوية المختلفة. وقد تضمن الكتاب كثيراً من الآراء الجديدة في تحليل هذه العلاقة.

+ لا يندرج الكتاب في اللسانيات المقارنة بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو كإطار نظري ينضوي تحت لواء اللسانيات التوليدية، فيجمع مؤلفه بين مناهج لسانية متعددة: علم التاريخ اللغوي، وعلم الاجتماع اللغوي، اللسانيات الوصفية والمقارنة.

+ يوفر الكتاب للقارئ قاعدة من المعطيات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية التي يمكن أن تكون منطلقا للباحث في دلالة الأشكال والبنى. ويمكن إعادة صياغتها وتحليلها في نماذج لسانية معاصرة.

+ يسد الكتاب الطريق على المزاعم التفاضلية التي تنطلق من فرضية المفاضلة بين اللغات، وهي أطروحة إيديولوجية أكثر منها علمية. ويمكن القول، إن هذا الطرح حاضر في مرجعيتين ثقافيتين: مرجعية ثقافية عربية تمثلها لسانيات التراث، ومرجعية استشراقية متعصبة لأفضلية اللغات الأوروبية. في هذا الإطار يقدم الكتاب قيمة مضافة للقارئ العربي تتمثل في استحضار قراءة المستشرقين لعدد من الظواهر اللغوية وآرائهم من منظور المقارنة أو من منظور إعادة بناء تحاليل القدماء، أو أحيانا اقتراح اجتهادات خاصة في تحليل الظواهر اللغوية العربية، ولا شك أن استحضار هذه المنظورات الاستشراقية في دراسة مظاهر الصرف والتركيب والدلالة تمكن القارئ من الإلمام بمنظورات قرائية متعددة غير منحصرة في المرجعية النحوية التراثية.

+ يتميز الكتاب أيضا بدفاعه العلمي العميق عن العربية في مواجهة اللغظ غير العلمي المؤلف الذي يثار في بعض الكتابات المتحيزة، ويتمثل في الإشارات الكثيرة إلى ما يزعم أولئك أن فيه دلالة على عيوب تصور قصور العربية وقصور العقلية العربية التي تتكلمها. وقد بين المؤلف بتفصيل عميق أن هذه المزاعم غير عادلة، بل سطحية. وهي تدل على مدى جهل قائلها بطبيعة اللغات عموماً، كما أنها تدل على أن من يتفوهون بتلك المقولات يجهلون لغاتهم هم، حقيقة، لأن تلك العيوب المزعومة (إن كانت عيوباً بالمفهوم اللغوي المحض) موجودة في اللغات الأوروبية نفسها التي ينظرون إليها على أنها النوع الأرقى من اللغات. وبين أن كثيراً من تلك الآراء ينطلق من مواقف مسبقة غير موضوعية من اللغة العربية لأسباب ثقافية وإيديولوجية في الغالب، كما سنبين في عرضنا التفصيلي لمحتويات الكتاب. وبالمقابل جاء الكتاب رداً علمياً هادئاً على مجموعة من المغالطات والمزاعم المتحيزة ضد اللسانيات التي يرددها بعض الباحثين العرب، انطلاقاً من أن البحث اللساني لا يمت بصلة إلى الثقافة العربية واللغة العربية. فقد جاء كتاب جستس ليفند هذه المزاعم من خلال محاولته إنصاف العربية، فهدفه، كما يقول، أن يجعل من دراسته: «مرآة لسانية متعاطفة مع العربية. وسوف تستقصي هذه الدراسة الاستراتيجيات والبنى التي تبدو كأنها تميز هذه اللغة، وسوف تحاول أن تجلي عنها الغموض

إسماء الترجمة في تلقي اللسانيات في الثقافة العربية

بإيراد المشابهات الأساسية لها في اللغات الأوروبية المعروفة. وغرضي هنا ذو شقين: أن أكشف للقارئ الخصائص المتحققة في الفضاء اللغوي العربي، وأقصد بذلك الارتباط بين الوزن والمعنى الذي يمكن أن تفخر به العربية فخرا خاصا؛ ثم أكشف، حين يكون ذلك ملائما، الإجراءات الشكلية التي نستعملها نحن [يقصد متكلي اللغات الأوروبية] في لغاتنا لنؤدي الأغراض الدلالية نفسها»⁴⁰.

4. أهمية الترجمة ومحاسنها:

تكمن أهمية ترجمة هذه الكتب في مجموعة من الجوانب: عامة وخاصة.

1.4. الجوانب العامة:

نعني بها المؤشرات العامة البارزة التي تجعل من ترجمات المزيبي نموذجا يحتذى في الترجمة اللسانية، ونذكر من ذلك:

أ. أهمية الحصيلة: ترجم المزيبي حتى صدور هذا الكتاب أربعة كتب، وتسعة بحوث، وهي حصيلة مهمة جدا قياسا إلى ما ترجمه غيره، أو إلى ما ترجم في مجال اللسانيات في الثقافة العربية بوجه عام.

ب. جدة الكتب المترجمة: ظهرت الترجمات بعد فترة قصيرة نسبياً من صدور أصولها في بيئاتها العلمية إذا استثنينا بحث تشارلز فيرجسون الذي صدر سنة 1959م، ويشفع له أن فيرجسون كان من أهم الباحثين في قضايا العربية، وبخاصة نظريته في (الازدواجية اللغوية) ((diglossia)) التي درس من خلالها أربع لغات إحداها العربية، فإن الأعمال الأخرى كلها صدرت في غضون الربع الأخير من القرن العشرين. وهذا يعني أن المترجم يستهدف إيجاد (مواكبة معرفية) مع المنجز اللساني الغربي الذي نعرف مدى انطلاقته التي حققها، وآفاقه التي يرتادها⁴¹، وهذا ما يبينه الجدول الآتي:

عنوان الكتاب	تاريخ الطبعة الأصلية	الترجمة العربية	تاريخ الانتهاء من الترجمة
اللغة ومشكلات المعرفة	1988	1990	1989
الغريزة اللغوية: كيف يبذل العقل اللغة	1994	2000	1998
دراسات في تأريخ اللغة العربية	-	2000	1986
دلالة الشكل في العربية في مرآة اللغات الأوروبية المعاصرة	1987	2005	2003
آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن	2000	2005	2004

مدخل إلى اللغة واللسانيات	1981	1986	-
صوت في الخلاء: كيف اكتسب الإنسان اللغة	1984	1990	-

ج. مجالات الكتب المترجمة: توزع الأعمال المترجمة بين مجالين رئيسيين: يتعلق أولهما بمستجدات النظرية اللسانية، سواء في أعمال تقدمها في صورة مدخل تأسيسي (كعمل جون لاينز)، أو في أعمال تخصصية معمقة (كأعمال: تشومسكي، وبنكر، وليبرمان)، ويتعلق ثانيهما بقضايا تخص اللغة العربية. وهذا يشير إلى أن ثمة إرادة معرفية تحاول أن تجمع بين المعطى اللساني النظري، بما هو معرفة تجريدية تفسيرية لظاهرة اللغة الإنسانية، والمعطى اللساني التطبيقي المعين لمشكلات وقضايا محددة في لغة محددة هي اللغة العربية: أي اللغة الهدف في الرؤية الثقافية لدى المترجم⁴².

2.4. الجوانب الخاصة:

أولاً. فنية الترجمة

تتصل بالترجمة باعتبارها فناً له أصوله في الممارسة، فإذا كانت «الترجمة فناً مبنياً على علم»⁴³، فإن الجوانب الفنية في ترجمات المزيبي تظهر فيما يلي:

أ. وضع مقدمات تتحدث عن الكتب المترجمة ومدى أهميتها، وموضوعاتها، وعن منهجيته في الترجمة:

ب. ضبط التوثيق: الجانب التوثيقي هو أول الخطوات التي يجب أن تسبق أي ترجمة: فقد نصت الاتفاقيات الدولية بشأن حقوق التأليف والترجمة على أنها ملكية فردية لمنهجها لا يجوز لغيره استغلالها دون موافقته⁴⁴؛ لذلك لا غرابة أن يحظى هذا الجانب باهتمام المزيبي الذي أولى حقوق النشر عناية واهتماماً كبيرين يبينان مدى حرصه على هذا الجانب، وقد أوضح ذلك في مقدمات ترجماته:

ج. الإبانة اللغوية في الترجمة: صاغ المترجم ترجماته بأسلوب سلس لا تكلف في أدائه، بعيد عن الغموض، قريب إلى الأفهام؛ مكنه من نقل أفكار الكتب المترجمة إلى القارئ العربي. فجاءت ترجمات المزيبي وكأنها مكتوبة أصلاً باللغة العربية؛ إذ لا تبدو في الغالب عليها أية أمارات من أمارات الترجمة. وهذا ما جعل النصوص الناتجة تبدو أقرب إلى أن تكون تأليفاً جديداً. وتتميز لغة الترجمة بالسلامة والبراءة من الأخطاء اللغوية، كما يندر أن نجد في الكتب المترجمة أخطاءً طباعية، وهي مزايا تضاف إلى المزايا السابقة كلها؛

د. الإبانة المرجعية في الترجمة: حشد المترجم مجموعة من المرجعيات اللسانية الشارحة لمعطيات المتن، يتبدى من خلالها ذكاء المترجم في انتقاء ما يتوافق أحياناً مع الآفاق التحليلية للمؤلفين، وفي طريقة معالجته للمعطيات، والهدف من حشد كل تلك المرجعيات

إسماء الترجمة في تلقي اللسانيات في الثقافة العربية

مساعدة القارئ على إضاءة قضايا المتن المتوافقة أحيانا مع أفق التحليل الذي يقدمه المؤلف والمعالجة التي يتبناها؛

هـ. التعليقات والشروح: مكنت تعليقات المترجم وشروحه من توضيح كثير من الأفكار، كما حاول في كثير من الأحيان أن يستدرك على المؤلفين بعض ما فاتهم أثناء معالجتهم لبعض الظواهر. ويبدى المترجم معرفة لسانية دقيقة في الحواشي والتعليقات؛ بحيث لا يقتصر التعليق عنده على الإحالة على نصوص لسانية موازية للتعمق في القضايا المطروحة، وإنما يتجاوز هذا المستوى إلى اقتراح معطيات جديدة من اللغة العربية وبعض اللغات الأخرى (الإنجليزية خصوصا) لتفسير قضايا المتن؛

و. الإبانة المصطلحية: أغنى المترجم الكتب المترجمة بكشافات مهمة: كشافات للغات، وكشافات للأعلام، وكشافات لأهم المصطلحات الواردة باللغة الإنجليزية ومقابلاتها العربية، والصفحات التي وردت فيها. وسنركز بشكل خاص على الجانب المصطلحي بالنظر إلى أهميته في الترجمة، وبالنظر أيضا إلى الصعوبات الكثيرة التي يثيرها، والتي يترتب عليها نجاح الترجمة أو فشلها؛

لقد أشرنا آنفا إلى أن المصطلح اللساني يبقى من المعوقات الكبرى التي تقف عقبة أمام اللسانيات العربية، غير أننا نقف على رأي آخر للمزياني في الموضوع؛ إذ يعتبر صوغ المصطلح جزءا لا يتجزأ من العمل العلمي. إن المصطلحات تخلق نتيجة للحاجة إليها أثناء البحث وليست عملا مستقلا؛ والصياغة (صياغة المصطلحات) عملية إبداعية يقوم بها المتخصص أثناء قيامه ببحثه حين تلجئه الضرورة إلى ذلك، وتقوم هذه العملية على ثلاثة أركان أساسية هي:

○ المعرفة العلمية الدقيقة بالشيء المراد تسميته؛

○ القدرة اللغوية، وتحوي المعرفة بقوانين اللغة ومعجمها وطرائق التعبير عنها؛

○ سعة التخيل التي تجعل المتخصص قادرا في وقت وجيز على الربط بين الركنين الأولين.

فلا بد من توافر هذه الأركان الثلاثة لكي يتمكن المتخصص من صوغ مصطلحات علمية

ملائمة؛ لأن معرفة الشيء المراد تسميته وحدها ليست كافية للعثور على تسمية موفقة⁴⁵. ويكمن سر الإخفاق في صوغ المصطلحات العلمية، في نظر المزياني، في الاعتقاد بأن هناك مناسبة بين الاسم والمسمى، لذلك فإن كثيرا من المشتغلين بهذا الاهتمام يوجبون أن يكون المصطلح دالا على ما يطلق عليه من حيث الشكل أو الوظيفة أو غير ذلك⁴⁶.

ويرجع المزياني مصدر الخلل في الترجمات اللسانية العربية إلى أن كثيرا من المترجمين ليسوا من المتخصصين في اللغة العربية، فأكثرهم متخصص أساسا في اللغة الإنجليزية أو الفرنسية. ومن هنا فإن المشكل يتمثل في عدم تمرس بعض هؤلاء المترجمين بالأساليب العربية

وهو ما ينشأ عنه استغلاق تلك الترجمات وعجمتها. وإذا وجدنا من المترجمين متخصصا في اللغة العربية، فإنه، في أغلب الأحيان، يفتقر إلى تمرس كاف باللغة المصدر، فيلجأ إلى القواميس لتذليل الصعوبات التي تواجهه أثناء عملية الترجمة. غير أن القواميس، في نظر المزيبي، لا يمكن أن توفر معرفة وتعميما للمصطلحات؛ لأن المصطلحات العلمية هي بالأساس وليدة لصفة الإبداع في اللغة.

إن مشكل الترجمة ليس مشكل مصطلحات، بل هو مشكل التعبير الدقيق عن مضمون تلك المصطلحات، وعلى هذا الأساس فإن المشكلات المرتبطة بالمصطلح هي مشكلات خارجية لا علاقة لها بالمصطلح نفسه، وأن الكثير منها لا يقتصر على الوضع في اللغة العربية بل هو شائع في اللغات الأخرى ولم يمنع من الإبداع العلمي فيها⁴⁷.

ويظهر من ترجمات المزيبي، التي يمكن أن نعتبرها نموذجا تطبيقيا لأفكاره السابقة، أن المترجم لم يجد صعوبات تذكر في استعمال اللغة العربية في التعبير عن الأفكار والمفاهيم اللسانية وصوغ المصطلحات المناسبة لها، ساعده في ذلك خبرته وتمرسه وانخراطه في الترجمة منذ سنوات. لقد نجح المترجم باقتدار في سك المصطلحات المناسبة، وسبك الجمل العربية بشكل مؤد⁴⁸، على الرغم من صعوبة الجهاز الاصطلاحي للكتب المترجمة التي ينتمي معظمها إلى مستويات لسانية مختلفة (صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية...) تعد ثمرة لتاريخ طويل من التنظير اللساني الغربي.

ثانيا. الذات المترجمة:

يظهر من الترجمة مدى وعي المترجم بقضايا الترجمة بما هي قواعد وأسس ومشكلات قائمة، بالإضافة إلى قناعته بأن الترجمة الدقيقة أسهل السبل في تعريف القارئ العربي، عموما والمتخصص في اللسانيات على وجه أخص، باللسانيات على طبيعتها الصحيحة بعيدا عن الابتسار والتشويه الذي ينتج عن التأليف في أكثر الأحيان⁴⁹. وقد ساعده على ذلك: + تخصصه في اللسانيات وامتلاكه المهارات والخبرات العملية الكافية التي مكنته من الممارسة الذكية للترجمة؛

+ إلمامه بأسرار اللغة المصدر واللغة الهدف؛ وهذا ما أكسبه قدرة عالية على استبطان دلالات المصطلحات المستخدمة استبطاناً عميقاً، ليدل على أصل الدلالة وتاريخيتها، وفهم النصوص والتعامل معها بذكاء ثاقب، مع تتبع تفاصيل الأعمال المترجمة، وصياغتها بأساليب عربية جذابة وهذا ما نعتبره ثمرة من ثمار التخصص، وسعة الاطلاع؛ + صبر المترجم⁵⁰ وتمرسه وتجربته الناجحة في مجال الترجمة؛

إسماء الترجمة في تلقي اللسانيات في الثقافة العربية

+ إحاطته الكبيرة بموضوع الكتب المترجمة، وبالقضايا المعروضة فيها للنقاش، ويظهر ذلك جليا في تعليقاته التي وضحت ما استغلقت من عبارات الكتب التي اختارها المؤلف بانتقائية كبيرة. وكثيرا ما يتحول المترجم إلى لساني خبير، فهو يجتهد في التعليق على مجموعة من المعطيات الواردة في الكتب المترجمة، ويتدخل بمعارفه وإمكانياته الثقافية واللسانية الواسعة لينقل وجهة نظره الخاصة في شرح قضايا متعددة، والتعليق عليها⁵¹...

+ استعانت به بعض المترجمين لترجمة النصوص التي أوردها المؤلفون بلغات لا يجيدها (الألمانية واللغة الفرنسية واللغة الإسبانية)، وقد ترك النصوص بلغاتها الأصلية إلى جانب ترجمتها العربية، كما استعان ببعض المراجعين، وهذا يبين مدى وعيه بأهمية العمل الجماعي...

خلاصات ونتائج:

نتم اختيارات المزيبي في الترجمة عن خلفيات معرفية، يمكن أن نوجزها فيما يلي:
أ. ترجمة الكتب التي تمثل الأسس الفلسفية والمعرفية التي تنبني عليها اللسانيات المعاصرة، فانشغال القارئ العربي -سواء أكان متخصصا في اللسانيات أم غير متخصص- بالمسائل التقنية للنظرية التوليدية، قد يحول دون إدراك الأرضية الفلسفية للنظريات التي تؤسس النماذج التوليدية الحديثة. وبالتالي فإن، الكشف عن الأسس الفلسفية يعتبر جزءا لا يتجزأ من تمثيل النظريات، ومن ثمة فإن الوعي الإبيستمولوجي حاضر في اختيارات الترجمة.

ب. هاجس تطوير التنظير في اللسانيات العربية حاضر أيضا في اختيارات الترجمة، فالمزيبي يعي جيدا أهمية ضرورة وصل التفكير اللساني العربي بأسئلة اللسانيات المعاصرة في أفق تجديد مقارنة ظواهر اللغة العربية.

ت. الوعي بقضايا اللسانيات العربية؛ ذات البرنامج المتشعب؛ لأنه يحيل على قضايا متعددة منها:

+ أسئلة التأريخ، ووضع اللغة العربية الكلاسيكية تفعيدا وتنظيرا مقارنة بالعربية المعاصرة،
+ أسئلة النمذجة والتنظير واختيار النماذج الكافية وصفا وتفسيرا لظواهر اللغة العربية،
+ أسئلة الوعي بأسس النظريات اللسانية المعاصرة وقضاياها المعرفية والفلسفية الكبرى.
إن ترجمات المزيبي توفر أرضية معرفية صلبة لترجمة لسانية جادة في مجال اللسانيات. وصفوة القول إن الترجمة في الثقافة العربية لا يمكن أن تسهم في تقدم البحث اللساني في الثقافة العربية وإغنائه إلا إذا تحولت إلى حركة واسعة تتجاوز التجزيئية والارتجال والانتقاء غير الواعي للنصوص وتوحيد المصطلح والاتفاق على معاجم لسانية موحدة... ولا يمكن أن يتحقق كل هذا إلا بوجود مؤسسة عربية يعهد لها بمراقبة ما يترجم وينشر، وتكون لها سلطة

المتابعة والضبط والردع، وتوفر لها الإمكانيات الكفيلة بتوحيد الجهود، حتى نتفادى ضياع الجهد وهدر الطاقة في بعض الترجمات المكرورة...

مراجع البحث وإحالاته:

- 1- حسن حسن، جريدة "السفير" 2000/03/29 م، في السياق نفسه أشار تقرير التنمية العربية إلى أن ما ترجم إلى العربية منذ عصر المأمون يعادل ما يترجم في اليونان في سنة.
- 2- عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994م، ص: 27.
- 3- من تقديم صالح القرمادي لترجمة الطيب البكوش لكتاب جورج مونان، مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب البكوش (تقديم صالح القرمادي)، منشورات الجديد، تونس، الطبعة الأولى، 1981م، ص: 06.
- 4- Canguilhem, G, *Etudes d'histoire de philosophie des sciences*, Vrin, Paris, 1975, p 12.
- 5 - للاطلاع على تفاصيل ضافية حول هذا الموضوع ينظر كتابنا: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته.
- 6 - عبد الرحمن حسن العارف، مرجع مذکور، ص: 310.
- 7- حمزة بن قبلان المزياني، ثلاث ترجمات لمحاضرات دي سوسير، ضمن كتاب، مراجعات لسانية، ص: 93-94.
- حمزة بن قبلان المزياني، مراجعات لسانية، الجزء الأول، سلسلة كتاب الرياض، العدد 79، يونيو 2000م.
- حمزة بن قبلان المزياني، مراجعات لسانية، الجزء الثاني، سلسلة كتاب الرياض، العدد 75، فبراير 2000م.
- 8- للوقوف بتفصيل على هذه القضايا الإشكالية المتعلقة بالمعاجم اللسانية، ينظر، مصطفى غلفان، المعاجم اللسانية في الثقافة العربية الحديثة. واقع تجربة، مجلة الدراسات المعجمية، العدد السادس، ذو الحجة- محرم 1428هـ/يناير 2007م، ص: 89-90.
- 9- مصطفى غلفان، المعاجم اللسانية في الثقافة العربية، واقع وتجربة، ص: 89-90.
- 10- عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة، بحث في الخلفيات المعرفية، ص: 24.
- 11- نذكر من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر:
- ترجمة كتاب Chomsky لمؤلفه ج، ليونز Lyons، إلى اللغة العربية ثلاث ترجمات:
- ترجمة حلمي خليل 1985م
- ترجمة محمد زياد كبة 1987م
- ترجمة بيداء العبيدي ونغم العزاوي 2001م
- كما ترجم كتاب *Language and Linguistics, An Introduction* وهو أيضا لـ ج، ليونز Lyons، إلى اللغة العربية بصيغ مختلفة، فقد ترجم حمزة بن قبلان المزياني فصلين من الكتاب (الفصل الأول والثاني) سنة 1987م، وفي السنة نفسها ظهرت ترجمة أخرى للكتاب قام بها مصطفى التوني (دار النهضة المصرية)، وفي سنة 1991م ظهرت ترجمة ثالثة للكتاب (الأردن) قام بها محمد عناني.

- + ترجمة كتاب *Schools of linguistics* للغوي البريطاني *Geoffrey Sampson*، وقد ترجمه أحمد نعيم الكراعين، سنة 1993م، أما الترجمة الثانية فظهرت سنة 1997م ببيروت، وقام بها زياد كبة، بعنوان، مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، وصدر عن جامعة الملك سعود.
- + كتاب *Knowledge of language* لمؤلفه تشومسكي، وقد ترجمه إلى اللغة العربية محمد فتيح بعنوان المعرفة اللغوية، كما ترجم الكتاب نفسه محيي الدين حميدي.
- + ونجد لكتاب *FR, palmer* الترجمات الآتية:
- ترجمة الماشطة 1985م
 - ترجمة صبري إبراهيم السيد 1986م
 - ترجمة خالد محمود جمعة 1997م
- 12- عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة، ص: 26.
- 13- ظهرت أول ترجمة لكتاب سوسير في الثقافة العربية سنة 1984م، بعد مرور حوالي سبعين سنة على ظهور الطبعة الأولى من الكتاب سنة 1916م، وقد ترجم الكتاب إلى اليابانية سنة 1928م، وإلى الألمانية سنة 1931م، وإلى الروسية سنة 1933م، وظهرت ترجمته الإسبانية سنة 1945م، ثم نقل إلى اللغة الإيطالية سنة 1967م.
- 14- عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة، ص: 10.
- 15- نسوق هذه المراجعات الخاصة بترجمة كتاب سوسير، ونشير إلى أن الثقافة العربية لا تخلو من بعض المراجعات الأخرى.
- 16- حمزة بن قبلان المزيبي، مراجعات لسانية، ص: 07-08.
- 17- المرجع نفسه، ص: 08.
- 18- جاءت مراجعة عبد السلام المسدي متأخرة زمانيا، وذلك ما سمح له بالاطلاع على الترجمات الخمس.
- 19- أثرنا الاحتفاظ بالعناوين التي أدرجها كل مراجع تسهيلا لاقتفاء خصوصيات تلك المراجعات في مظانها الأصلية.
- 20- المرجع نفسه، ص: 105.
- 21- المرجع نفسه، ص: 116.
- 22- المرجع نفسه، ص: 119-125.
- 23- وكان الأجدر إيرادها لأسباب عديدة منها، (1) أن هذه الترجمة تعطي صورة عن الظروف التي أحاطت بجمع مادة الكتاب أساسا، (2) أنها تبين بوضوح أن الكتاب لم يؤلفه دي سوسور، وهي حقيقة لابد من إظهارها، (3) أن هناك بعض التعليقات التي ترجمت وذيلت بعبارة (الناشران)، فلا بد من التعريف بهما وذكر مقدمتهما ولا يغني عن ذلك الإشارة العجلى الواردة في (حمزة بن قبلان المزيبي، المرجع السابق ص: 9).
- 24- ينظر: عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص: 55-77.
- 25- حمزة بن قبلان المزيبي، مراجعات لسانية، ص: 125.
- 26- المرجع نفسه، ص: 125.

- 27- عز الدين المجذوب، ثلاث ترجمات لكتاب فردينان دي سوسير، حوليات الجامعة التونسية، العدد 26، السنة 1987م، ص: 47.
- 28- المرجع نفسه، ص: 48.
- 29- المرجع نفسه، ص: 49.
- 30- المرجع نفسه، ص: 51.
- 31- عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة، ص: 10.
- 32- المرجع نفسه، ص: 35-08.
- 33- تجدر الإشارة هنا إلى أن ترجمة كتاب دي سوسور إلى اللغة الإنجليزية سنة 1959م كانت حدثاً مهماً وهي ما تزال إلى اليوم الترجمة الوحيدة المعتمدة لذلك الكتاب.
- 34- أثرتنا التركيز في عرضنا لترجمات المزيبي على الجوانب الإيجابية تحديداً، غير أن ذلك لا يعني عدم وجود بعض المؤاخذات على تلك الترجمات، لكنها تبقى قليلة جداً قياساً إلى الجوانب الإيجابية، ويمكن الاطلاع على بعضها في مقال محيي الدين محسب الذي نحيل عليه.
- 35- محيي الدين حسيب، مع جديد حمزة المزيبي في ترجمة الأعمال اللسانية، جريدة الرياض السعودية، 2005/05/05م.
- 36- حمزة بن قبلان المزيبي، اللغة ومشكلات المعرفة، ص: 06.
- 37- ستيفن بنكر، الغريزة اللغوية، كيف يبدع العقل اللغة؟، ترجمة الدكتور حمزة بن قبلان المزيبي، دار المريح للنشر، 1420هـ/2000م.
- 38- نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ترجمة حمزة بن قبلان المزيبي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى 2005م.
- 39- مجموعة من المؤلفين، دراسات في تأريخ اللغة العربية، ترجمة حمزة بن قبلان المزيبي.
- 40- للاستزادة في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى: حمزة بن قبلان المزيبي، التحيز اللغوي (وتحديداً الفصل الثاني، مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة). كما حاول الدكتور نهاد الموسى الكشف عن بعض تجليات حضور العربية في اللسانيات الأمريكية على وجه الخصوص. نهاد الموسى، اللغة العربية في مرآة الآخر: مثل من صورة العربية في اللسانيات الأمريكية. نهاد الموسى، اللغة العربية في مرآة الآخر: مثل من صورة العربية في اللسانيات الأمريكية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى 2005م.
- 41- محيي الدين محسب، مع جديد حمزة المزيبي في ترجمة الأعمال اللسانية.
- 42- المرجع نفسه.
- 43- جورج مونان، المسائل النظرية في الترجمة، ص: 63.
- 44- عبد الرحمن حسن العارف، دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي، حركة الترجمة اللغوية في المشرق العربي (مصر أنموذجاً)، ص: 329.
- 45- حمزة بن قبلان المزيبي، التحيز اللغوي وقضايا أخرى، سلسلة كتاب الرياض، العدد 125، الطبعة الأولى، 1425هـ/ يونيو 2004م، ص: 210-212.
- 46- المرجع نفسه، ص: 211.

47- المرجع نفسه، ص: 214.

48- يؤكد المزيّني أن المشكل ليس مشكل اللغة العربية، يقول: «أكثر الإشكالات إشكالا هي تعلل كثير من الناس بأن اللغة العربية ليست قادرة على التعبير عن الأفكار والمفاهيم العلمية الدقيقة في اللسانيات، وربما صح لي الزعم بأن ترجماتي تشهد بأن المشكل ليس في اللغة العربية بل في عدم قدرة بعض المترجمين على التعبير بها»، من حوار أجريته مع حمزة بن قبلان المزيّني، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة. حافظ إسماعيلي علوي، ووليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الطبعة الأولى، 1430هـ- 2009م.

49- المرجع نفسه.

50- يظهر صبر المترجم ونفسه الطويل في ترجمته لمجموعة من الكتب اللسانية التي يتجاوز عدد صفحات كل واحد منها 500 صفحة.

51- اشترط الجاحظ في المترجم شروطاً يمكن اختصارها فيما يلي،

1- أن يكون المترجم صاحب بيان؛

2- أن يكون عالماً بالموضوع الذي يترجمه علماً في وزن بيانه؛

3- أن يكون عالماً باللغة التي يترجم منها؛

4- أن يكون عالماً باللغة التي يترجم إليها؛

5- أن يمتلك حسن الترجمة الذي تكون الدربة والممارسة ركناً من أركانه.

الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1416هـ- 1996م، ج 1، ص: 76-77. وتبدو هذه الشروط جميعها متحققة في شخص المزيّني بالنظر إلى ما أسلفنا الحديث عنه.